العربية بين هويَّتَين (العجز والإعجاز)

محمد جاسم محمد جبارة
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل
(تاريخ القبول بالنشر: 18 أب 2013)

الملخص:

يتناول البحث مشكلة اللغة العربية في مواجهتها لمناهج الحداثة في الفكر والأدب، هذه المشكلة التي تقوم على جدل التراث والحداثة من جهة وعلى مشكلة تحديد مفهوم الهوية بين الفكر القومي والبعد الإنساني للغة من جهة أخرى. وسيُعنَى البحث بتقديم محاور عدة تدور حول مفهوم الهوية القومية وعلاقتها باللغة، ثم دور الأقليات الإثنية في اللغة العربية، وكذلك معالجة مشكلة العامية التي تنتشر في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري من إعلانات تجارية وأخبار وتعريب للمسلسلات التلفزيونية والتقارير العلمية، وستكون معالجة العامية بالتوجه نحو الألفاظ العامية نفسها التي تنحدر من اللغة الفصحى، لتعزيز الثقة بين مستخدم اللغة وتراثه، ثم لكسر الحواجز النفسية بين الإنسان العربي المعاصر ولغته. فقد ذهبت بعض الدعوات إلى القول بعجز اللغة العربية عن مواكبة الحداثة على مستوى المفاهيم والمصطلحات، فضلاً عن تأكيدها على رجعية اللغة العربية بما في ذلك انتمائها القومي والعقائدي. وقد تناولنا في البحث مجموعة من الأسباب التي أحاطت باللغة العربية في العصر الراهن التي تسبَّبت في نفور مستعملي اللغة من لغتهم، وتبنّيهم للَّهجات العامية أو المصطلحات الأجنبية التي يظن مستعملوها أنها تُعبر عن انتماء ثقافي متميز أعلى شأناً من اللغة العربية وانتمائها الذي أصبح يعني التقليد والجمود والتخلف.

كما يُقِيم البحث موازنة بين مفهوم العجز في الوقت الراهن ومعنى الإعجاز الذي عبّرت عنه (لغة الضاد) التي أنتجت الشعر العربي، ثم أكرمها الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم (العربي). ونحاول تفكيك الربط الثقافي الذي يحصر اللغة بالقومية، أو يحددها بالعقيدة، لأننا نعتقد أن اللغة العربية هي لغة ثقافة شاملة متعددة وليس من مصلحتها أن تحددها القومية أو المذهبية في مجتمع متعدد الأجناس والمذاهب كالمجتمع العربي الذي تأسست ثقافته على التنوّع والانفتاح.

ومن خلال هذه المحاور سنتعرّض لبعض الآراء التي تحاول تفعيل دور اللغة العربية في الحياة المعاصرة، من خلال رصد التطور الدلالي للمفردات، أو تأكيدها على قِدَم اللغة العربية على باقي اللغات العالمية. وينتهي البحث بوضع مجموعة من المقترحات والحلول للخروج باللغة العربية من مفهومها التقليدي إلى مفاهيم الحداثة وتفعيل دورها في الحياة الثقافية العربية. هكذا نريد أن يبدأ البحث بنقض مفهوم الحداثة الذي أوقع اللغة العربية بالعجز لينتهي بالتأكيد على فاعلية العربية في مناهجها وأصولها، ثم في دورها النهضوي في الحياة الاجتماعية العربية.

الكلمات المفاتيح: (اللغة العربية، الهوية القومية، الأقليات الإثنية، العامية، العجز والإعجاز)

مقدمة:

بدأت فكرة الإعجاز مع القرآن الكريم عندما تحدى القرآنُ الكريمُ العربَ (أهلَ البيان) بأن يأتوا بآية من مثله، قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(1)، وقد تأسست العديد من العلوم التي تمس جوهر اللغة العربية: كالتفسير والقراءات والبلاغة واللغة والنحو على تبيان وجوه الإعجاز القرآني على مستويات عدة. إذ اتخذ الإعجاز صيغاً عدة منها: فنية وتاريخية وغيبية، تشتمل على جميع ما ورد في النص القرآني من إعجاز يتحدد بالتفوق على القدرات البشرية الطبيعية. ولسنا نروم هنا أن نتحدث عن هذا المسار في الإعجاز القرآني، لكثرة ما تناول الباحثون هذا الموضوع وداروا

في فلكه الذي لا ينتهي؛ ولكننا نبحث في عدد من المحاور التي تدور حول فكرة الإعجاز التي انتقلتْ من القرآن الكريم إلى عموم اللغة العربية، وأصبحت اللغةُ العربية معجزةً بتاريخها الذي يعود إلى لسان آدم (عليه السلام)، أو إسماعيل (عليه السلام)، أو سيمضي قدماً إلى لغة أهل الجنة كما ورد في حديث النبي (ﷺ): "أحِبّوا العربَ لثلاثٍ: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي"[٢]. وعلى الرغم من تضعيف هذا الحديث إلا أنه اتخذ مكانته في أدبيات الدفاع عن اللغة العربية. لذلك نرى أن الإعجاز اتخذ شكلاً عقائدياً إلى جانب أشكاله التاريخية والعلمية الأخرى. ففكرة الإعجاز لم تختص بالبيان القرآني، لأنها كانت تعتمد على الشواهد الشعرية والنثرية العربية لفصحاء العرب وشعرائها في سبيل توضيح القواعد والتراكيب التي يأتي بها الإعجاز؛ حتى إننا نجد كتباً تتناول إعجاز الشعر، مثل كتاب (معجز أحمد) المنسوب إلى أبي العلاء المعري والذي وضع عنوانه على التورية بين اسم النبي محمد (= أحمد) (ص) وأبي الطيب المتنبي أحمد بن الحسين، فالكتاب في شرح شعر المتنبي، وقد اختار المؤلف هذا العنوان لبيان إعجابه بشعر المتنبي. وليس هذا فحسب بل إن العرب نظروا إلى اللغة العربية في عمومها قولاً ونحواً ومفردات بوصفها معجزةً اختص الله بها العرب دون سواهم، فمن إعجازها حرف (الضاد) الذي تتفرد به اللغة العربية دون سواها من اللغات الأخرى[٣]، وكذلك الترتيب الأبجدي[٤]، الذي أصبح ترتيباً عالمياً، ومنه أيضاً (الإيجاز)، و(الحركات الإعرابية والصرفية)، و(العَروض والقافية) و(الاتساع)، و(المجاز)، و(التشبيه).. وغيرها مما جاء على لسان الخطباء والشعراء وأهل البيان. ويبدو أن العرب أُعجبوا بلغتهم منذ الجاهلية، ثم عزَّز إعجابَهم بها نزولُ القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فانكبوا على دراستها وجَمْع ألفاظها وتمييزها عن الدخيل والمعرب والمولّد للحفاظ على جوهرها ونقائها. فحدَّدوا عصر الاستشهاد وبيئته، وانتخبوا النصوص النقية التي لم تخالط لغةَ الأعاجم أو لَكْنَتَهم، فكلما كان الشاعر موغلاً في البداوة كان أفصح وأقرب إلى الاستعمال الأمثل للغة، وكلما اختلط بالمدينة والأعاجم كان أبعد عن الفصاحة والبيان، فقد أخرج العلماء بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ) من دائرة الاستشهاد وأدخلوا إبراهيم بن هرمة (ت ١٧٦ هـ)، على الرغم من قدم بشار على ابن هرمة بسبب مخالطة بشار للأعاجم، واحتفاظ ابن هرمة ببداوته. ويبدو أن فكرة الاستعمال الأمثل للغة كانت تقوم على مجموعة من المبادئ والأصول أهمها الإيجاز والبيان، حتى نجد القولين لا يفرِّق بينهما المعنى ولكن يفرق بينهما التقييم، فهناك تقييم داخلي للغة نفسها، إذ يفرق العلماء بين القول الفصيح والأفصح ضمن قوانين الاستعمال أو لدلالة المعنى ووضوحه على الغاية.

والحديث في هذا المسار يطول، ولكننا اليوم ما زلنا نعيد قضية الإعجاز على اختلاف المرامي والغايات، فقد واجهت اللغة العربية تحديات عديدة، أهمها العامية، ثم اللغات الأجنبية، ثم التطور التقني والترجمة. وقد كان لمناهج الحداثة على مستوى الأدب والأيديولوجية الدور الفاعل في توطيد فكرة العجز وانحسار اللغة العربية وتراجعها عن تحقيق دورها الفاعل في إنتاج المعرفة. لذلك قامت الجامعات العربية في السنوات الأخيرة بعدة مؤتمرات من أجل إعادة تنشيط دور اللغة العربية في المجتمع العربي، غير أننا غالباً ما نقرأ التوصيات والمقترحات البعيدة عن الواقع العملي الذي يحاول ربط معطيات الواقع الاجتماعي والنفسي للفرد والمجتمع مع المقترحات والمعالجات، والتي تظهر عليها النزعة الخيالية الطوباوية، فأغلب الحديث يدور حول محاربة العامية واللغات الأجنبية واستبدالها بألفاظ من مقترحات المجامع اللغوية، فضلاً عن وضوح التبرير الأيديولوجي لقومية اللغة العربية. وسنتناول في بحثنا أهم القضايا التي توضح العلاقة بين اللغة وعلاقتها بأيديولوجية الواقع وحركات التطور، فضلاً عن التمييز بين العامية والفصحى على مستوى الاستعمال وليس على مستوى المفاهيم والحدود المعروفة عند علماء اللغة والمتخصصين. ثم دور اللهجات المحلية في إعادة التواصل مابين العامية والفصحى. وسنعتمد على جهود الباحثين المتخصصين في التأليف المعجمي للاستفادة من نتائجهم حول مكانة اللغة العربية بين اللهجات العامية وكذلك مكانتها في تأسيس الفكر الحداثي الذي سعت إليه الأطروحات الحديثة وكانت تتأرجح

بين نبذ الماضي بلغته وفكره أو إعادة مقاربته مع ما يتناسب والموقف الاجتماعي والحضاري.

اللغة والهوية القومية:

كان للغة دور مهم في الفلسفات الحديثة من خلال تعبيرها عن هوية الفرد والمجتمع على حدٍ سواء، ويبدو أن ربط اللغة بالهوية كان نتيجة لتطور المفاهيم القومية وظهور النزعات الانفصالية في العالم الحديث، التي أدَّت إلى الاعتقاد بأن خصوصية اللغة تعني خصوصية الهوية القومية. وترجع نشأة القوميات إلى القرن الثامن عشر وكانت القومية الفرنسية أولاها، إذ ظهرت منذ قيام الثورة الفرنسية وتلتها القومية الإيطالية والألمانية في القرن التاسع عشر، ثم انتقل مفهوم القومية من أوربا إلى باقي بلدان العالم، ...، وأما القومية العربية فهي وليدة الصراع ضد السيطرة العثمانية والامبريالية الغربية، ثم غذَّتها قضية فلسطين بغذاء متصل[٥]. وقد تابع الفكر الماركسي قضية اللغة والهوية القومية في معالجة أطروحاته الأممية التي تتناقض مع الهوية القومية أو اللغات القومية بسبب دعوتها إلى اللغة الوطنية، كما أكدت الماركسية على علاقة الاستعمار في تعزيز مفهوم اللغة القومية لاستغلال الطبقة الكادحة وابتزاز حقوقها، فضلاً عن إصرارها على حداثة مفهوم القومية، وتفريقها بين القومية الرجعية والقومية التقدمية، فمع "دخول الرأسمالية في العصر الإمبريالي بدءاً من أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت ظاهرة نشوء الدول القومية مرتبطة في جانب أساسي منها بالنضال ضد الاستعمار. فقد نشأت جملة من الدول القومية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من خلال كفاح الطبقات الحديثة (التي ظهرت إلى الوجود بسبب التأثيرات المعقدة لعملية السيطرة الاستعمارية) في سبيل التحرر الوطني"[٦]. فضلاً عن ذلك كانت المسألة اليهودية تشغل حيزاً واضحاً من المعالجات الماركسية لقضية اللغة من جهة وقضية المسألة القومية من جهة أخرى، وكان ذلك بسبب دعوات الكتّاب اليهود إلى إظهار أهمية الدور الذي تمارسه اللغة القومية في تأسيس الدولة القومية التي يبحث عنها اليهود، فبُنِيَتْ تصوراتهم الطوباوية على دولة يهودية مغلقة على (العِرق) اليهودي وتتحدث باللغة العبرية.

وربما لو راجعنا الأطروحات الماركسية حول المسألة اليهودية لوجدنا العديد من المشتركات الأيديولوجية بينها وبين الكتابات العربية في معالجتها للمسألة القومية، فاليهود تبنوا مفاهيم اللغة بوصفها الخصوصية القومية التي تجعل منهم مجتمعاً متميزاً داخل المجتمع الأوربي الذي يعيشون داخل ثقافاته ولغاته المتعددة، وقد كتب مجموعة من المفكرين حول تفنيد الربط بين الخصوصية القومية واللغة عن طريق التفريق بين اللغة واللهجات المحلية التي لا تحل محل اللغة الأم، يقول ستالين: "فاللهجات المحلية تمثل تفرعات من اللغة الوطنية للشعب بأسره، تفرعات محرومة من كل استقلال لغوي، ومقضياً عليها بحياة خاملة. أما الاعتقاد بأن اللهجات والألسنة الخاصة تستطيع أن تتطور إلى لغات مستقلة، قادرة على زحزحة اللغة الوطنية والحلول محلها، فهو إضاعة للأفق التاريخي، وانحراف عن مواقع الماركسية"[٧]. وعلى الرغم من صحة هذا القول إلا أن اللغة الأم لا تعني بالضرورة اللغة الوطنية، فالسكان الأصليين لأمريكا أو أستراليا لا يتحدثون الإنكليزية التي أصبحت هي اللغة الوطنية. ولكن الفكر الماركسي ينطلق من أيديولوجية أممية تضع المسألة الوطنية فوق الانتماء الثقافي والعقائدي والعرقي. ويبدو أن الدعوات اليهودية التي نادت بتشكيل قومية يهودية استفادت من اللغة؛ لتعزز دعوتها بالانفصال عن المجتمعات الحاضنة لليهود، فاللغة العبرية هي لغة مغلقة على اليهود فقط، وهي أشبه بلهجة محلية ضيقة تختص بـ (شعب الله المختار)، وبهذا تختلف عن اللغات العالمية الأخرى التي تحتضن مجموعات متعددة من القوميات والأقليات وبالتالي فهي تمتلك تنوعاً في الثقافات. فاللغة العبرية ليست لغة ثقافة متعالية بل هي لغة محدودة النطاق؛ لكونها تخضع للعقيدة التي تحوّلت إلى قومية تنبثق من النظرية الاستعمارية لليهود بإنشاء وطن قومي، فهي لغة عقائدية فقط تقترب كثيراً من اللهجات المحلية لبعض الأقليات الدينية أو الإثنية التي تعيش داخل الوطن العربي ولم تقدم فكراً أدبياً أو علمياً من خلال تلك اللهجات؛ فاللغة الأمازيغية – مثلاً –

كما يقول د. محمد الأوراغي، وهو مؤسس نظرية اللسانيات النسبية، ليست سوى لغة أنشأها الاستعمار الفرنسي ووضع حرفها المسمى (تيفناغ)، إذ كانت في بدايتها تعتمد في الكتابة على الحرف العربي واللاتيني حتى تم صنع حروفها في الأكاديمية البربرية في باريس في سبيل تطويرها وجعلها لغة عريقة في المغرب من أجل تفرقة الوحدة الوطنية المغاربية[٨]. وعلى الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن اللغة الأمازيغية وما يحيط بها من ظروف اجتماعية وثقافية، إلا أننا نؤكد على أهمية وجود التوافق النفسي في استعمال لغة موحدة ليس فقط بين مواطني الدولة الواحدة، بل كذلك التوافق بين المجموعة الثقافية الواحدة فضلاً عن التوافق بين لغة الحياة اليومية ولغة العقيدة التي نتعبد بها، وذلك من أجل الحضور الدائم لألفاظ القرآن الكريم ودمجها في الاستعمال اليومي فلا تصبح اللغة العربية لغة عقيدة فقط يغادرها المسلم بعد مغادرته للصلاة أو أية عبادة أخرى تستلزم استخدام اللغة العربية. فالقومية على هذا الأساس هي: "صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الجنس واللغة والمنافع، فهي شعور مجموعة من الأفراد بأنهم يؤلفون وحدة اجتماعية نتيجة لما يجمعهم من روابط عنصرية وثقافية ولغوية وما يشعرون به من رغبات صادقة في تحقيق أهدافهم الوطنية السياسية"[٩]. وعلى الرغم من محاولة اليهود الارتقاء باللغة العبرية، وإدخالها في نظام الدولة العبرية (إسرائيل) إلا أنها ما تزال لغة ضيقة النطاق والاستخدام. فضلاً عن ذلك فقد أكدت أغلب الدراسات الأنثروبولوجية والنفسية على الفصل بين العِرق واللغة، يقول دي سوسير: "من الخطأ أن نعتقد أن اللغة الواحدة تعني قرابة الدم، وأن الأسرة اللغوية تتفق والأسرة الأنثروبولوجية، فواقع الأمر ليس بهذه السهولة"[١٠]. فهناك وحدة اجتماعية ودينية وعرقية ولكنها لا ترتكز على اللغة الواحدة، وهذا ما أكده دي سوسير بقوله: "إن الوحدة العرقية وحدها قوة ثانوية ليست ضرورية، في أي حال من الأحوال، للوحدة اللغوية. بيد أن هناك نوعاً آخر من الوحدة – له أهمية كبيرة، يتألف من الأواصر الاجتماعية، وهي الوحدة الاجتماعية ethnisme؛ وأعني بذلك الوحدة التي تستند إلى العلاقات المتنوعة للدين والحضارة والدفاع المشترك وغير ذلك، وهذه الوحدة تنبع حتى بين الأمم التي تنتمي إلى أجناس مختلفة، ولا تجمع بينها آصرة سياسية"[١١].

وقد انتقلت الكثير من الأفكار والدعوات القومية التي تربط بين اللغة والعِرق إلى الوطن العربي، وشكّلتْ أحد توجهات الفكر القومي العربي في دعوتها للتحرر والكفاح ضد الاستعمار. ولكن ما الذي يدعو المجتمعات إلى الحرص على إثبات التفرّد والخصوصية وما الذي ينتج عن هذا التفرّد؟. وما نعتقده بهذا الخصوص هو أن هذه الدعوات كانت نتيجة ارتباط اللغة بالتاريخ والثقافة، فهي توضح مسيرة التطور التاريخي للمجتمع الذي يستطيع – بتتبع اللغة وتطورها الدلالي – أن يتواصل ويستمر في تشكيلاته الاجتماعية وعلاقاته مع الطبيعة والحياة وتكوين فكره الأيديولوجي أو العقائدي، فاللغة هي الوثيقة التاريخية الأهم في الكشف عن مراحل التطور التاريخي لمجتمع ما. غير أن الموقف العربي من علاقة اللغة بالهوية ليس موحداً فالأغلبية تؤيد هذه العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والقومية خاصة الأحزاب القومية (العروبية)، التي تجعل من العرب أمة وحدوية بطبيعتها التاريخية والاجتماعية والعرقية. وقد تساندها بعض الأفكار السلفية التي تجعل من العرب حَمَلة الرسالة الإسلامية، كما تجعل من العربية لغةً عقائدية لها خصوصيتها من لغة القرآن العربي، ولغة آدم، ولغة أهل الجنة، فهي تنظر إلى العربية بوصفها ضرورة لكل من يريد أن يحمل رسالة الإيمان من الأرض إلى الجنة. وهذه الدعوة ترفدها الأسانيد من الأخبار وبعض الأحاديث، فضلاً عن القرآن الكريم الذي يؤكد على منزلة اللغة العربية وتشريفه لها بالبيان، من هذه الدعوات ما نقرأه مثلاً في دراسة عبد الرحمن أحمد البوريني في محاولته للتأكيد على حقيقة أن اللغة العربية أصل اللغات كلها وأنها لغة آدم (عليه السلام) وأن جميع لغات العالم تفرَّعت منها[١٢]، وهي دعوة لا تخلو من المبالغة والتمحل بإعادة عدد من الألفاظ الأجنبية إلى أصول عربية. وعلينا هنا أن نحدد الفارق الكبير بين اللغة العبرية العقائدية واللغة العربية التي لم تختص حضارتها بالعقيدة، بل تمتد إلى آفاق واسعة من الأدبيات التي مثلتها اللغة العربية خلال تاريخها الطويل الذي يقرب من ألفي عام[١٣].

وتقف في الجانب المضاد دعوات نهضوية تستنكر على اللغة العربية مكانتها العليا، وتجرد العرب من تلك المفاخر المزيفة التي يجنونها من اللغة العربية، فالمفكر السعودي (عبد الله القصيمي) يصف الأمة العربية بأنها ظاهرة صوتية تصدّق بالخطاب المزيف الذي تتخيله حتى يصبح واقعاً فعلياً موهوماً. ويستنكر أن تكون اللغة العربية موجودة فعلاً قبل أن يضع الواضعون قواعد النحو والإعراب، وذلك لعدة أسباب، منها: أن هذه القواعد نُسيت تماماً من المجتمع العربي فكيف ينسى العربي الذي أخذ قواعد الإعراب والحركات بالفطرة والمولد والطبع وأصبح لا يتقنها الآن إلا بالتعلم الصعب والمجاهدة في البحث، ومنها أيضاً أن هذه اللغة لم تنتج فكراً وأخلاقاً، ولم تتأسس على مبادئ واضحة وقوانين معروفة وموجودة من قبل، يقول: "إنها لم تكن توجد أي في ذلك التاريخ كتب ولا أفكار أو مذاهب أو نظريات أو دراسات أو فنون أو قوانين أو أية معرفة من المعارف الإنسانية الجيدة، موضوعة في اللغة العربية أو منقولة إليها... هل يمكن أن يكون هذا التخاطب بين لغة وأهلها دون أن يتحول هذا التخاطب إلى كتب ونظريات ومذاهب وإلى فنون وقوانين ومعارف على مستوى من المستويات الجيدة أو الرديئة، أي مكتوبة؟ أليست اللغة، كل لغة تحويلاً للنفس وللذات ولمواجهاتها إلى صيغ فكرية أو فنية أو أخلاقية أو عاطفية؟ نعم لعله لم تكن توجد في ذلك التاريخ لغة عربية صحيحة، لأن أية علامة من علامات أية لغة لم تكن موجودة في اللغة العربية بأي أسلوب.."[١٤]

وعلى الرغم من اختلافنا الكبير واعتراضنا على هذه الأطروحات التي لا تستند إلى دليل، ولا تقوم إلا على المنطق العقلي الذي يشكك بالعقيدة، ولا يؤمن بالعبقرية الفردية كما لا يؤمن بالتغيرات الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على تحولات اللغة بانتقال المجتمع من المرحلة الشفاهية إلى المرحلة الكتابية، فضلاً عن تشكيكه بجميع الشعر الجاهلي والأخبار العربية والموروث اللغوي بأكمله الذي نقله الرواة والمحققون، وهناك دراسات متخصصة في هذا الجانب، تنقض كل ما ذهب إليه القصيمي، ويكفي أن نشير إلى ردّ الكُتّاب على تشكيكات مارجليوث وطه حسين من قبل؛ على الرغم من كل ذلك نرى أن هذا الطرح قد يفتح أمامنا محاور عدة تفيد في الكشف عن الجانب القومي من جهة والجانب اللغوي – الاجتماعي من جهة أخرى. خاصة فيما يتعلق بطرائق تعلم الفصحى، وتثبيت حركاتها ونطقها منذ المولد، وعلاقة العامية بالفصحى، وليس من جهة التشكيك والتوثيق. ويبدو أن القصيمي يضع النموذج اليوناني أمامه ليقيس المنتج الأدبي والفلسفي المكتوب لليونان أمام الشعر الجاهلي والأخبار الشفاهية العربية. وحقيقة الأمر أنه يعتمد على قياس خاطئ يلغي فيه الخصوصية الثقافية للمجتمع. لذلك لا يكتفي بإلغاء الموروث بل يشكك بقدرة العربي الأمي على تعلم حركات الإعراب ثم نسيانها بصورة مفاجئة، فيقول: "هل يمكن أن يفقد جميع أفراد مجتمع من المجتمعات قدرتهم على أن يتعلموا القراءة والكتابة، أو قدرتهم على أن يبكوا أو يضحكوا... أو قدرتهم على أن يسقطوا أو يهونوا أو على أن يكذبوا وينافقوا أو على أن يصدقوا الأكاذيب ويحترموا الأوغاد؟... هل يمكن أن يصدق الزعم أن معرفة قواعد الإعراب المعقدة الصعبة جداً بالسماع، أو المحاكاة، أو الوراثة، أو بالسليقة أسهل من معرفة القراءة والكتابة بالمولد أو بالموهبة أو بالقدر؟"[١٥]. ويظهر للقارئ أن أطروحات القصيمي فيها الكثير من الانفعال والتوتر الذي كان نتيجة هزائم العرب ضد إسرائيل وعدم قدرتهم على بناء دولة جديدة وإنسان متحضر، بعد كل الثورات والأيديولوجيات التقدمية التي سادت في المجتمع العربي، فدعوته أشبه ما تكون بنقض للقومية العربية نقضاً سلبياً لا يقوم على تقديم البديل.

أما (د. كمال بشر) فهو ينتقد الوضع العربي من خلال اللغة فيقول: "اللغة العربية في عصرنا هذا الذي نعيش فيه مضطربة اضطراب أهليها فكرياً، وثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً كذلك. ليست لنا ثوابت فكرية نلتقي عليها ونعود إليها لتوحيد الرؤى أو تقريب مسارات هذه الرؤى في الحاضر، ولرسم خطوط متناسقة متآلفة ذات خواصّ عربية مميِّزة للمستقبل"[١٦]. ونجد في هذا الخطاب درساً انفعالياً يحمّل اللغة أو المجتمع العربي أسباب انتكاسها أمام الوضع الراهن، ولا نرى أن علاقة اللغة بالمجتمع

ترتبط بهذا الارتباط اليائس فليس الانتصار السياسي والاقتصادي يعني انتصاراً للغة والعكس ليس صحيحاً، والشواهد التاريخية كثيرة في هذا المجال، فضلاً عن أن الاقتصاد العالمي الآن لا يقوم على العلاقات القومية بعد عصر العولمة. وربما يعود سبب هذا الربط بين اللغة والوضع العربي السلبي إلى الربط بين اللغة والهوية القومية، إذ إن الهوية العربية ما تزال بعيدة عن الاستقرار والوضوح على الرغم من التجربة الثورية التي مرت بها الأمة العربية في سبيل التحرير، يقول نديم البيطار: "الأمة العربية تمر حالياً بمرحلة انتقالية تعني التحول الجذري عن مجتمعها التقليدي إلى مجتمع جديد ينفيه، وتفرض علينا، فيما تفرضه، ما يمكن تسميته "أزمة الهوية، أي مشكلة تكوين هوية جديدة تترتب على تقلص وتبعثر المجتمع التقليدي في شتى أبعاده، الأيديولوجية والاقتصادية والاجتماعية. تكوين نظرية علمية واضحة حول طبيعة الهوية القومية ومقوماتها يشكل بعداً أساسياً من أبعاد هذا التكوين"[١٧]. وهذه الأطروحات التي تربط بين اللغة والهوية هي في حقيقتها بحث عن المرجعية الثقافية المشتركة التي أخذت تتشتت داخل المجتمع العربي مما سيتيح الفرصة أمام الأقليات الإثنية بالمطالبة بالخصوصية والاعتراف بثقافاتها وتاريخها ولغاتها. وربما نجد الأمر معكوساً مع المجتمع العربي الفلسطيني الذي تعمَّد اليهود تغييرَ ملامحه العربية لمحو شخصية المجتمع العربية، لذلك يحس الشعراء بهذا التغييب فيرجعون إلى اللغة بوصفها أداة للتعبير عن هويتهم القومية وشخصيتهم العربية، فما زال الشاعر محمود درويش يردّدُ هذا الإحساس باللغة فيقول مثلاً:

ما دلَّني أحدٌ عليَّ. أنا الدليلُ أنا الدليلُ
إليَّ بين البحر والصحراءِ. من لغتي ولدتُ
على طريقِ الهندِ بين قبيلتين صغيرتين عليهما
قمرُ الدياناتِ القديمةِ، والسلامُ المستحيلُ
وعليهما أنْ تَحفظا فلَكَ الجوارِ الفارسيِّ
وهاجسَ الروم الكبيرَ، ليهبطَ الزمنُ الثقيلُ
عن خيمةِ العربي أكثرَ. مَنْ أنا؟ هذا
سؤالُ الآخرين ولا جوابَ له. أنا لغتي أنا،
وأنا معلقةٌ... معلقتان... عشرٌ، هذه لغتي
أنا لغتي. أنا ما قالت الكلماتُ:
كنْ جسدي، فكنتُ لنبرِها جسداً. أنا ما
قلتُ للكلمات: كوني ملتقى جسدي مع
الأبدية الصحراء. كوني كي أكون كما أقول ....
... للمرء مملكة الغبار وتاجُهُ. فلتنتصرْ
لغتي على الدهر العدو، على سلالاتي،
عليَّ، على أبي، وعلى زوالٍ لا يزولُ
...هذه لغتي ومعجزتي عصا سحري.
حدائقُ بابلي ومسلَّتي، وهويتي الأولى،
ومعدنيَ الصقيلُ
ومقدّسُ العربي في الصحراءِ،
يعبد ما يسيلُ
من القوافي كالنجوم على عباءتهِ،
ويعبد ما يقول...[١٨]

وربما يتوهم القارئ أن هذه القصيدة تعبير عن القومية العربية، غير أن درويش لم يكن من دعاة القومية، بل كان يتحدث عن كل الأفكار الخاطئة أو الصائبة، فهو يتمثل الواقع العربي بوصفه واقعاً من المتناقضات المتآلفة في فضاء الصحراء، إنه يتحدث عن القضية الفلسطينية التي أصبحت قضية المستضعفين في عالم تتردد فيه القوة بين موازين العدالة والظلم. وهنا نذكر له موقفاً آخر يدافع فيه عن الأقليات المضطهدة في حقبة من التاريخ، فيكتب عن الشعب الكردي في بلاد الأناضول معتمداً على تحديد الهوية عن طريق توظيف ثيمة (اللغة)، فيقول في قصيدة عنونها بـ: (ليس للكردي إلا الريح):

يتذكر الكرديُّ حين أزورُه، غدَهُ ..
فيبعده بمكنسة الغبار : إليكَ عني !
فالجبالُ هي الجبالُ. ويشرب الفودكا
لكي يبقى الخيالُ على الحيادِ: أنا
المسافر في مجازي، و الكراكيُّ الشقية

إخوتي الحمقى. وينفض عن هويته
الظلال: هويتي لغتي. أنا.. و أنا.
أنا لغتي. أنا المنفيُّ في لغتي.....
... باللغة انتصرتَ على الهوية
قلتُ للكردي، باللغة انتقمتَ
من الغياب
فقال : لن أمضي إلى الصحراء
قلتُ ولا أنا..[١٩]

فهنا يظهر بوضوح قيمة اللغة في بناء الثقافة القومية، غير أن القومية التي يدعو لها درويش هي قومية المظلومين وليست القومية العنصرية الاستعمارية كالتي يدعو لها اليهود، فيصبح الدفاع عن اللغة إحدى آليات الدفاع عن الكيان والحرية والهوية. وأما ما يخص اللغة العربية فإننا نجد أنها مرت – على امتداد مراحلها التاريخية – بتحديات ثقافية وأيديولوجية كبيرة جداً ومعقدة بسبب ما تتضمنه من موقف عقائدي وتراثي إنساني يجمع تحت خيمته ثقافات متعددة، كالفارسية، والرومية فضلاً عن انتماءاتها الإقليمية التي ورثتها من حضارات العراق القديم والفراعنة وغيرها، إلى جانب الشعوب المتنوعة التي مرت على المنطقة العربية خلال تاريخها الطويل، فهي لغة تنتمي لها ثقافات متعددة تجعلها لا تنتمي إلى أية أيديولوجيا قومية عنصرية بطبيعتها التاريخية والثقافية.

إن اللغة العربية لم تمر بمراحل انحطاط تؤدي بها إلى حدوث نهضة داخلية تفصل بين اللغة القديمة البائدة واللغة الحديثة القائمة كما هو الحال في اللغة التركية التي تفصل بين العثمانية القديمة والتركية المعاصرة التي فرضها كمال أتاتورك بالقوة. وهي ليست لغةً استعمارية، لذلك لم تتكئ على الدعوات العنصرية من أجل استغلال الشعوب وقمعها، وفرض ثقافتها عليهم. وإلى جانب ذلك فهي تمتلك خصوصية تاريخية وعقائدية وبنائية وصوتية تجعلها أكثر تعقيداً من أن تمثل نكسة الشعب العربي أو المجتمع الإسلامي أو تعبر عن اضطرابات التاريخ العربي. فهي لغة مواجهة حيناً ولغة دعوة حيناً، ثم لغة ثقافة وحضارة حيناً ثالثاً. كل ذلك يجعلنا ننقض الدعوات القومية التي تتخذ من اللغة محوراً للدفاع عن أيديولوجية القومية العربية، لأن ذلك يبعدها عن كونها لغة ثقافة وحضارة إنسانية.

العامية والفصحى بين الهوية والثقافة:

تقف أمامنا إشكالية الفصحى والعامية لتطرح عدة مسائل تدور حول الألفاظ والتراكيب، فالعامية غالباً ما تتخلى عن القواعد الصارمة وتميل إلى تخفيف لغة التواصل الاجتماعي، مع احتفاظها بأصول الألفاظ الفصيحة التي تختفي وراء التغيرات الصوتية للهجات العامية. وتظهر إشكالية العامية والفصحى مرة في مناهج النحو وأخرى في مفردات المعجم. وبإجراء نظرة سريعة في عموم اللغة ربما سنلاحظ أن النحو هو الخاسر الأكبر في اللهجات العامية ويظهر أكثر من غياب الألفاظ التي وقع عليها الإبدال والقلب وأدى إلى تغيير أصواتها وابتعادها عن الأصل حتى نسي واختلط مع الدخيل واللفظ الأجنبي[٢٠].

وقد نظر بعض الدارسين إلى دعوات العامية على أنها "مشروع سياسي يعالَج في ميدان الصراع بين معسكر حركة التحرر العربي والمعسكر الصهيو – إمبريالي"[٢١]. ونرى أن مصطلح العامية يعود إلى الدراسات الاستشراقية التي روّجت لمفهوم العامية وقاست اللغة العربية على اللغات الأوربية، وحقيقة الأمر هو أن اللغة العربية تختلف في بنائها وتاريخها عن اللغات الأوربية ولهجاتها العامية، فالعامية العربية هي لهجات عربية فصيحة لها إرثها التاريخي اللغوي، فنحن بين لغة ولهجات وليس بين لغة فصحى وأخرى عامية، أي إن العامية العربية لا تنفصل عن موروثها الفصيح، غير أننا نجد الباحثين يتعاملون مع العامية وكأنها لغة غريبة دخيلة على الثقافة العربية، والأمر لا يتعدى أن يكون صراعاً بين اللغة الأدبية العالية واللهجات العامة ذات الوظيفة التواصلية. ومثل هذه الحالة يسميها (فرجسون) بالازدواجية ويعرّفها: "بأنها الحالة اللغوية الموجودة في جماعة المتكلمين التي يستخدم فيها بعض المتحدثين نوعين أو أكثر من اللغة الواحدة في ظروف مختلفة"[٢٢]، مثال ذلك سويسرا التي تمثل فوضى لغوية[٢٣]. أما الازدواجية بين العربية الفصحى

والعاميات فهي تعني عندنا أن العامية العربية حالها حال الفصحى في تعبيرها عن البعد القومي للمجتمع العربي، إذ إنها تمتلك الخصائص الصوتية والنحوية والإملائية التي أخذتها من الفصحى، مع وجود تسامح كبير في ضبطها بسبب كثرة استعمالها في المجتمع. يقول أحد الباحثين: "يمثل التعايش بين اللهجات الدارجة واللغة الفصحى الميزة الأكثر وضوحاً وبروزاً للحالة اللغوية في البلدان العربية. ويشكل المظهر الأول المستوى الأدنى (low variety) المستخدم في التخاطب العادي اليومي واللغة الوحيدة للمتكلمين الأميين، في حين يشكل المظهر الثاني المستوى الأعلى (high variety) المستخدم في الخطابات الرسمية، والمحاضرات، والبرامج التلفزيونية"[٢٤].وتبدو مسألة العامية أكثر تعقيداً من مجرد الدعوة إلى ترك الفصحى التي تعني ترك التراث والحضارة وبالتالي ترك المرجعية المشتركة، فهي كذلك تعني العودة إلى (لعنة بابل) من جديد حيث تتفرق الألسن والأقليات العرقية. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى ربط العاميات بالاتجاهات السياسية الداعية إلى تكوين كيانات اجتماعية ودينية منفصلة عن الدولة الأم؛ إذ يؤكد بعض الدارسين على "أن ما حدث في الثلث الأخير من القرن الماضي يؤكد انفجار الهوية المركزية، وانشطارها إلى هويات جزئية غالباً ما تنتمي إلى ثقافات فرعية تُغَلّب عاملاً واحداً، أو عدة عوامل تبني عليها هوية منفصلة واحتجاجية، وتنذر بعودة إلى العرقية أو الإثنية. فهل إن السبب هو ضعف أو إضعاف الأمة — الدولة؟ أم إن السبب هو ما أدّت إليه الشمولية الكوكبية أو العولمة من سياسات فوق وطنية (supranational) تعمل على نمذجة (modeling) وتنميط الثقافة في قالب واحد، وتذويب الهوية الوطنية ودمج متزايد للثقافات الفرعية والخصوصيات المحلية؟"[٢٥].

في العالم العربي المعاصر نجد تطور حركة الإثنيات والأقليات اللغوية ونشاط العامية لتحقيق الإقليمية، يحدث ذلك على مستوى تعريب المسلسلات التلفزيونية، والأغاني، والإعلانات التجارية. وهذا يشير إلى تحول المفهوم القومي للغة الفصحى إلى اللهجات العامية الأكثر ضيقاً وإقليمية من الرؤية القومية، أي التحول من القومي إلى الوطني والمحلي؛ وحقيقة الأمر هو أن اللهجات العامية العربية هي لهجات فصحى في أغلبها، وليست خروجاً عن اللغة الأم، وما دخل عليها من ألفاظ أجنبية لا يجعلها عامية مبتذلة، لأن الفصحى كذلك دخلتها الألفاظ الفارسية والرومية وغيرها ولم يخل ذلك بقيمتها الثقافية والحضارية. ولسنا بهذا ندعو إلى العامية بقدر ما ندعو إلى التعامل مع اللهجات العامية العربية بوصفها لهجات عربية تنتمي إلى الموروث الحضاري نفسه للغة الفصحى.

ومن أجل معالجة هذه المشكلة لا بد من التركيز على:

١. تشجيع استعمال المصطلحات والعبارات الفصيحة المتداولة في اللهجات العامية بين المجتمعات العربية وذلك من أجل إعادة الثقة بين اللغة العربية ومستعمليها، فهذه الألفاظ هي فصيحة ولا يعرف مستعملُها ذلك، فضلاً عن اللهجات في قراءة الكلمة.

٢. عدم ربط اللغة بالجانب السلطوي، أي لا نجعل الانكسار الحضاري انكساراً للغة وانحساراً لوظيفتها المتعالية، لأن ذلك سيؤثر سلباً في اعتبار العربية لغة التخلف والأجنبية لغة الثقافة.

٣. الاعتماد على القراءة الشفاهية في تعليم اللغة، وتوظيف الأجهزة الصوتية في تعلم العربية بأصواتها العامة ولهجاتها المختلفة؛ لكي تكون بمستوى تعلم اللغات الأجنبية داخل مؤسساتنا التعليمية.

٤. ليست العربية أسوأ منزلة من لغات عديدة، مثل الفرنسية، والألمانية، والصينية، والروسية من لغات الدول المتقدمة، فليست المدنية المعاصرة أو التقانة سبباً في انتشار اللغة أو انحسارها. ففي اللغة الفرنسية مثلاً لا يفهم الفرنسي المعاصر اللغة الفرنسية القديمة وكذلك الألماني والإنكليزي، أما العربي فهو يفهم إلى حد كبير لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي.

٥. إن واقع اللغة العربية ليس فقيراً كما يُصوِّرُه بعض الدارسين أو العامة، فإننا نجد تفوق أعداد الطلبة المتقدمين لدراسة اللغة العربية عن باقي اللغات، في مؤسساتنا التعليمية،

فضلاً عن اهتمام الجامعات الغربية في الوقت الراهن باستحداث أقسام اللغة العربية.

٦. لا بد من تحديد المشكلات الرئيسة التي تعاني منها العربية في داخل مجتمعها، فهي – بحسب ما نعتقد – تعاني من طبقة المثقفين في استعمالهم الخاطئ لقواعد اللغة، ودلالاتها أكثر من معاناتها من العامة. فليس العامة قديماً وحديثاً منزهين عن أخطاء اللغة، فضلاً عن أنهم غير مسؤولين عن أخطائهم.

أخيراً نقول: إننا بحاجة إلى إعادة تقييم مناهج اللغة العربية وإجراء بحوث ميدانية لمعرفة المشاكل والصعوبات التي يعاني منها دارسو اللغة العربية، فضلاً عن تقييم دور اللغة في المجتمع ومؤسسات الدولة. فالعربية لا تكون معجزة إلا إذا عبّرت عن رقيّها الحضاري، وتخلصت من انحسارها الأيديولوجي. أما العجز فلم يعبر عن البنية الداخلية للغة العربية، بل يعبر عن ردود أفعال سلبية اتهمت اللغة، وحمَّلتْها هزائم الدعوات الثورية والسياسات العربية الخاطئة.

الهوامش:

(١) البقرة، آية: ٢٣.

(٢) مختصر المقاصد الحسنة في بيان الكثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الإمام محمد عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٤، ١٩٨٩: الحديث رقم (٢٩). وقد ورد بهامشه خلاصة سند الحديث وقوته فقد ضعفه الألباني وعده المصنف حسن لغيره.

(٣) ينظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، د. عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، ط٢، ١٩٩٤: ٨٤ –٨٧.

(٤) وهو ترتيب فينيقي قديم يتكون من (٢٢) حرفاً وقد أضاف إليه العرب ستة أحرف هي (ثخذ ضظغ).

(٥) ينظر: معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٧: مادة (قومية).

(٦) الماركسية والمسألة القومية، موقع: http://ayman1970.wordpress.com

(٧) حول الماركسية في علم اللغة، جوزيف ستالين، لقاء منشور في مجلة البرافدا عام ١٩٥٠، منقول عن الموقع الإلكتروني: http://www.ahewar.org.

(٨) ينظر: محمد الأوراغي: اللغة الأمازيغية لغة افتراضية ولا وجود لها في التاريخ، ياسر الخلفي، على الموقع الإلكتروني (نبراس الشباب): http://www.nibraschabab.com/?p=6220

(٩) معجم العلوم الاجتماعية: مادة (قومية).

(١٠) علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية للصحافة والنشر – بغداد، ط١، ١٩٨٥: ٢٤٤.

(١١) نفسه: ٢٤٥.

(١٢) ينظر: اللغة العربية أصل اللغات كلها، عبد الرحمن أحمد البوريني، دار الحسن للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٨: ٧– ٩.

(١٣) ينظر: اللغة العربية خارج حدودها، د. نيقولا دوبرشان (جامعة بوخارست رومانيا)، ضمن كتاب: اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مجموعة مؤلفين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون والعلوم، إدارة الثقافة – تونس، ١٩٩٦: ١٠٠.

(١٤) العرب ظاهرة صوتية، عبد الله القصيمي، شركة مونمارتن للطباعة والنشر – باريس، ١٩٧٧: ٦٧٠.

(١٥) نفسه: ٦٦٩.

(١٦) اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٩٩: ٢٧.

(١٧) حدود الهوية القومية، نقد عام، د. نديم البيطار، دار الوحدة للطباعة والنشر – بيروت، ط١، ١٩٨٢: ١٢.

(١٨) لماذا تركت الحصان وحيداً، محمود درويش، رياض الريس للكتب والنشر – بيروت، ط٢، ١٩٩٥: (قصيدة قافية من أجل المعلقات): ١١٥ – ١١٨.

(١٩) لا تعتذر عما فعلت، محمود درويش، دار رياض الريس للطباعة والنشر – بيروت، ط٢، ٢٠٠٤: ١٥٩ وما بعدها.

(٢٠) ينظر: المعجم العربي الجديد – المقدمة، هادي العلوي، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية، سورية، ط١، ١٩٨٣: ٢٠.

(٢١) نفسه: ٧.

(٢٢) اللغة العربية خارج حدودها: ١٠١.

(٢٣) هناك أربع لغات رسمية في سويسرا هي: الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانشية (لاتينية قديمة).

(٢٤) اللغة العربية خارج حدودها: ١٠١.

(٢٥) المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية، د. محمد العربي ولد خليفة، منشورات ثالة – الأبيار، الجزائر، ٢٠٠٧: ٩١– ٩٢.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. حدود الهوية القومية، نقد عام، د. ندىم البيطار، دار الوحدة للطباعة والنشر – بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٣. العرب ظاهرة صوتية، عبد الله القصيمي، شركة مونمارتن للطباعة والنشر – باريس، ١٩٧٧.

٤. علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية للصحافة والنشر – بغداد، ط١، ١٩٨٥.

٥. لا تعتذر عما فعلت، محمود درويش، دار رياض الريس للطباعة والنشر _ بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.

٦. اللغة العربية أصل اللغات كلها، عبد الرحمن أحمد البوريني، دار الحسن للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٨.

٧. اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٩٩.

٨. اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مجموعة مؤلفين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون والعلوم، إدارة الثقافة – تونس، ١٩٩٦.

٩. لماذا تركت الحصان وحيداً، محمود درويش، رياض الريس للكتب والنشر – بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

١٠. مختصر المقاصد الحسنة في بيان الكثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الإمام محمد عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٤، ١٩٨٩.

١١. المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية، د. محمد العربي ولد خليفة، منشورات ثالة – الأبيار، الجزائر، ٢٠٠٧.

١٢. المعجم العربي بين الماضي والحاضر، د. عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، ط٢، ١٩٩٤.

١٣. المعجم العربي الجديد – المقدمة، هادي العلوي، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية، سورية، ط١، ١٩٨٣.

١٤. معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٧.

الإنترنت:

١. حول الماركسية في علم اللغة، جوزيف ستالين، لقاء منشور في مجلة البرافدا عام ١٩٥٠، ومنقول عن الموقع الإلكتروني:
http://www.ahewar.org

٢. الماركسية والمسألة القومية، موقع:
.http://ayman1970.wordpress.com

٣. محمد الأوراغي: اللغة الأمازيغية لغة افتراضية ولا وجود لها في التاريخ، ياسر الخلفي، على الموقع الإلكتروني (نبراس الشباب):
http://www.nibraschabab.com/?p=6220